كتاب (تهذيب الأحكام)
لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)
عرض ودراسة لنسخة المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة

د. مقدام محمَّد جاسم البياتيّ
المديريَّة العامَّة لتربية ميسان

The Book (Tahzib Al-Ahkam) by the Sheikh of the sect, Abu Jaafar al-Tusi (D. 460 A.H)
A Presentation and Study of the French National Library Copy

Dr. Muqdam Muhammad Jassim Al-Bayati
General Directorate of Maysan Education

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ على كريم نواله، وصلَّى اللهُ على سيِّدنا النبيِّ محمَّدٍ وآله

ملخَّص

هـذا وصفٌ موجزٌ لنسخة مخطوطة من كتاب (تهذيب الأحكام) للشيخ أبي جعفر محمَّـد بـن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، بيَّنتُ فيهـا أهميَّة الكتاب ومكانـة مؤلِّفه، ثمَّ عرَّجـتُ على وصف النسخة من حيث الأوصاف الماديَّة وخوارج النصِّ، وبيَّنتُ نفاسة هـذه النسخـة، إذ تُعدُّ من أقدم نسخ الكتاب، فهي منسوخـة سنة (٥٦٩هـ)، كما تعاور عـلى تملُّك النسخـة والتهميش عليها جملة من العلماء، ويوجـد في آخر النسخة إنهاءات قراءة كذلك.

Abstract

This is a brief description of a manuscript copy of the book (Tahzib Al-Ahkam) by Sheikh Abi Jaafar Muhammad ibn Al-Hassan Al-Tusi (d.460 AH), in which I explained the importance of the books and the position of its author, then I described the copy in terms of physical descriptions and outside the text, and I showed the value of this copy, as it is considered one of the oldest copies of the book It was abrogated in (569 AH), and a group of scholars struggled to own the copy and marginalize it, and at the end of the copy there are endings of reading as well.

مقدّمة

تُعدُّ المخطوطات الإسلاميَّة والعربيَّة قيمة علميَّة ثرَّة؛ لما تختزن في أثنائها من رصيدٍ معرفيٍّ مـادِّيٍّ، يتمثَّل بما تركه لنا السَّلف الصالح من مشاركات متنوِّعة في علومٍ وفنونٍ مختلفة.

ولا تقتـصر فائـدة المخطوطـات بـما تحويـه من علـمٍ، أي نـصّ المؤلِّف، بـل ثمَّة فوائـد أخـرى في المخطوطـات تتمثَّـل بما نجده عـلى غواشـيها وطُررها وحواشـيها، وأوَّلهـا وآخرهـا، من قيود بيـع وشراء وتملُّك وإجـازات وسماعات وإنهـاءات، وغير ذلك.

ويمتـاز الـتراث الإسلاميّ والعربيّ بميـزة قلَّما نجدها في غيره، وهـي انتشار هذا التراث في مكتبات الخافقَينِ، مع كثرته، فلا نكاد نرى قطرًا أو بلدًا في الكرة الأرضيَّة إلَّا وجـزءٌ من تراثنا فيه، وقد انتقل هذا التراث إلى تلـك البلاد بسبل مختلفة، شرعيَّة وغير شرعيَّـة، بالشراء تارةً، والسرقة تارةً أخرى، أو بانتقال المخطوطات بصحبة مالكها، أو غير ذلك.

وتُعـدُّ المخطوطات المهاجـرة كنزًا معرفيًّا ثـرًّا، لا غنًى لمـن رام الوقوف على مآثر السَّلـف الصالح ونتاجهم العلميّ من الاطِّلاع عـلى هذا المخزون المعرفيّ، الذي تمتلكه مكتبـات الغـرب اليوم، إذ نجد فيه نوادر وكنوزًا كنَّا نظـنُّ فقدها، بعد أن قَرَأنا عنها في الكتب والكشَّافات والأدلَّة.

ومـن هذه المخطوطـات النادرة النفيسـة، مخطوطة لكتاب (تهذيـب الأحكام) في الفقه، لمؤلِّفه الشيخ الأجلُّ أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (ت٤٦٠هـ)، محفوظة في المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة، قسم المخطوطات العربيَّة، وجدتُها أثناء تصفُّحي في موقع هذه المكتبـة، وقد رُفِعَت مؤخَّرًا على موقعها، فسارعتُ إلى تحميلها، وقلَّبتها مرارًا، فوجدتُ فيهـا كنزًا معرفيًّا حريًّا بالتعريـف والتنويه؛ لِقِدَمِها، وتملُّكها مـن قبل جملة من العلماء، واشـتمالها على حـواشٍ ضافيةٍ، فارتأيتُ أن أكتب عن هذه النسخـة بحثًا موجزًا أُعرِّف فيـه بنحوٍ موجزٍ بالكتاب، وبمؤلِّفه، ثمَّ أصف النسخة وأعرِّف بمن تملَّكها من العلماء، والله أسـأل أن يقـع عملي هذا موقع الرِّضا منه جلَّ في علاه، والقبول من القرَّاء الكرام، والحمد لله ربِّ العالمين.

الكتاب

أمَّـا الكتاب فهو (تهذيب الأحكام) في أحاديث الفقه، وهو شرح لكتاب (المقنعة) لأبي عبـد الله محمَّد بـن النعمان العكبريّ المعروف بالشيخ المفيـد (ت٤١٣هـ)، قال عنه الشيـخ الطهرانيّ: «أحد الكتب الأربعـة المجاميع القديمة المعوَّل عليها عند الأصحاب مـن لدن تأليفها حتَّى اليوم.. استخرجه [أي مؤلِّفه] من الأصول المعتمدة للقدماء التي هيَّأهـا الله لـه، وكانت تحـت يده من لـدن وروده إلى بغداد في (٤٠٨هـ)، إلى مهاجرتِهِ منهـا إلى النجـف الأشرف في (٤٤٨هـ)، ومن تلك الأصول مـا كانت في مكتبة أستاذه الشريـف المرتـضى المحتوية على ثمانين ألـف كتاب.. وقد خرج مـن قلمه الشريف تمام كتاب الطهارة إلى أوائل كتاب الصلاة، بعنوان الشرح على (مقنعة) أستاذه الشيخ المفيد الـذي توفِّي في (٤١٣هـ)، وذلك في زمـن حياة المفيد، وكان عمره يومئذٍ خمسًا وعشرين أو ستًّـا وعشرين سنـة، ثمَّ تمَّمه بعد وفاته، وقد أُنهيت أبوابه إلى (٣٣٩) بابًا، وأُحصيت أحاديثه في (١٣٥٩٠) حديثًا».

و(تهذيب الأحكام) من مصادر الاستنباط المهمَّة عند الشيعة الإماميَّة، بعد القرآن الكريم، إلى جانب الكتب الثلاثة الحديثيَّة الأخرى، وهي: (الكافي) لأبي جعفر محمَّد بن يعقـوب بن إسحاق الكلينيّ (ت٣٢٩هـ)، و(مَن لا يحضره الفقيه) لأبي جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمِّيّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، و(الاستبصار في ما اختلف من الأخبار) لأبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ.

وقد عُني به- ولـمَّا يزلْ- علماء الشيعة منذ القِدَم، وانتشرت نسخه الخطِّيَّة في الآفاق[1]، وتعدَّدت طبعاته، وعوَّل عليه المراجع والفقهاء في الفتيا والدَّرس.

المؤلِّف

ومؤلِّف الكتاب هو شيخ الطائفة الأجلّ أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ[2]، المولود في شهر رمضان المبارك سنة (٣٨٥هـ)، جاء إلى بغداد من أجل التلمذة على يد الشيخ المفيد، فدخلها سنة (٤٠٨هـ)، ولزم أستاذه المفيد خمس سنين، ألَّف في أثنائها كتابه هذا، أي (تهذيب الأحكام)، حتَّى توفِّي المفيد سنة (٤١٣هـ)، فلزم الشيخ الطوسيُّ علَّامةَ عصره السيِّد الأجلّ علم الهدى أبا القاسم عليّ بن الحسين المعروف بالشريف المرتضى المتوفَّى سنة (٤٣٦هـ)، وبعد وفاة السيد المرتضى ثُنيت للشيخ الطوسيّ وسادة العلم والتدريس، وخصَّص له حاكمُ زمانه القائم بأمر الله العبَّاسيّ (ت٤٦٧هـ) كرسيَّ الكلام في بغداد، وبعد نشوب الفتنة بين الشيعة والسنَّة، التي نتج عنها الهجوم على دار الشيخ الطوسيّ وإحراق منزله ومكتبته، هاجر إلى النجف الأشرف، وحطَّ رحاله فيها سنة (٤٤٨هـ)، لتبدأ مرحلة جديدة في هذه البقعة المباركة، تمثَّلت بتأسيس الحوزة العلميَّة فيها، التي ما زال شعاعها منبثقًا إلى الآن، وسيبقى بإذن الله تعالى.

(١) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: مخطوطات الكتاب الموجودة في المكتبات الإيرانيَّة، فنخا: ٩/ ٥٣١-٦١٤، ناهيك عمَّا يوجد من نسخ الكتاب في العراق وتركيا والهند وغيرها من البلاد.

(٢) ترجم له الكثير من العلماء، ينظر: لسان الميزان: ٥/ ١٣٥، ورجال السيِّد بحر العلوم: ٣/ ٢٢٧-٢٣٩، وروضات الجنَّات: ٦/ ٢١٦-٢٤٩، وتكملة أمل الآمل: ٤/ ٤٥١-٤٥٦، وأعيان الشيعة: ٩/ ١٥٩-١٦٧، والكنى والألقاب: ٢/ ٣٩٤-٣٩٧، وطبقات أعلام الشيعة: ٢/ ١٦١-١٦٢، والأعلام: ٦/ ٨٤.

تـوفِّي الشيـخ الطـوسيّ في ٢٢ مـن المحـرَّم سنـة (٤٦٠هـ)، ودُفِـنَ في داره التي صـارت مسجدًا في مـا بعدُ، وهو المسجد المعروف بمسجـد الشيخ الطوسيّ في النجف الأشرف.

خـطَّ يـراع الشيـخ الطوسيّ كثـيرًا من المصنَّفـات التي أغنـت المكتبـة الإسلاميَّة بوجودهـا، وذاع صيتها وانتشرت نسخها، منهـا: (التبيان في تفسير القرآن)، و(تهذيب الأحكـام)، و(الاستبصـار في مـا اختلـف مـن الأخبـار)، و(النهاية في مجـرد الفقه)، و(الفهرسـت)، و(العدَّة في الأصول)، و(كتاب الرجـال)، و(كتاب الأمالي)، وغيرها كثير من الكتب والرسائل.

وصف عام للنُّسخة

تحتفـظ المكتبـة الوطنيَّة الفرنسيَّـة، قسم المخطوطـات العربيَّة، بنسخـة من كتاب (تهذيـب الأحكـام) للشيخ الطوسيّ أعـلى الله مقامـه، وتقع هذه النسخـة تحت الرقم (٦٥٩١)[١].

ونسختنـا هـذه مـن كتـاب (تهذيـب الأحكـام) نسخـة قديمـة نفيسـة مؤرَّخة، تمثِّـل الجـزء الأوَّل من مجمـوع خمسة أجزاء مـن الكتاب، كما يتَّضح لنـا من بعض قيود التملُّـك التي عليها، وسيأتي ذكرهـا[٢]، وهذا الجزء من الكتاب تـامٌّ لا نقص فيه، يبدأ مـن خطبة الكتاب، وينتهـي عند الحديث ذي الرقـم (١٥٤١)، حسب المطبوع، وهو:

(١) كـما تضـمُّ المكتبة أربع نسخ أخرى مـن الكتاب غير نسختنا هذه، تقع تحـت الأرقام: ٦٦١٧، ٦٦٥٥، ٦٦٥٧، ٦٦٦٠، ينظر:

CATALOGUE DES MANUSCRITS ARABES DES NOUVELLES ACQUISITIONS (1884-1924): 318, 329, 330, 331.

(٢) ينظر: صورة رقم (١).

«محمَّد، عن محمَّد بن عيسى العبيديّ عن الحسين بن عبيد قال: كتبتُ إلى الصادق عليه السلام: هل اغتسل أمير المؤمنين عليه السلام حين غسَّل رسول الله صلى الله عليه وآله عند موته؟ فقال: **كان رسول الله صلى الله عليه وآله طاهرًا مطهَّرًا، ولكن فعل أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ذلك وجَرَت به السُّنَّة**»[1].

يتألَّف هذا المخطوط من (٢٠٣) ورقة، قياس الورقة: ٣٩ × ٢٤ سم، يبدأ الكتاب فعليًّا من الورقة (٢/ وجه)، وينتهي بالورقة (٢٠٢/ وجه)، في كلِّ ورقة صحيفتان، وفي كلِّ صحيفة نحو (١٩) سطرًا.

تمثِّل صحيفة العنوان الوجه الأوَّل من الورقة الأولى من المخطوط، وقد كُتِبَ العنوان فيها هكذا (الجزء الأوَّل من كتاب تهذيب الأحكام في الفقه، تصنيف الشيخ الأجلِّ الأوحد العالم الواصل عماد الدين ركن الشيعة معتمد الشريعة محمَّد بن الحسن الطوسيّ قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه بمحمَّد وآله الطاهرين)[2]، ويبدو أنَّ كتابة العنوان بيد الناسخ.

ونجد فوق العنوان قيد شراء لهذا الجزء وحده، هذه صورته (قيمة الجزء الأوَّل وحده أربعة آلاف دينار وخمسة محمَّديَّات)، كما توجد في صحيفة العنوان جملة من قيود التملُّك، سيأتي بيانها.

خطُّه نسخي، مشكول في بعض الكلمات، وقد حرص الناسخ على وضع علامة في آخر كلِّ حديث، دلالة على نهايته، وهذه العلامة عبارة عن دائرة منقوطة في منتصفها، كما حرص الناسخ على كتابة حاء صغيرة أسفل كلِّ كلمة تحتوي على هذا الحرف.

(١) تهذيب الأحكام: ١/ ٤٩٩.
(٢) ينظر: صورة رقم (١).

ناسـخ المخطوط هـو: يحيى بن أحمد بن الحسين الحِلِّيّ، لم أهتـدِ لترجمته، ولم أجد له منسوخـات أخـرى في ما بين يديَّ من الفهـارس والكشَّافات، أمَّا تاريـخ النَّسخ فهو: منتصف شهر شعبان من سنة ٥٦٩هـ، ولم يذكر الناسخ مكان النَّسخ[١].

وعـلى النسخة حـواشٍ كثيرة، يرجـع معظمها لمالكـي النسخة[٢]، وقـد اتَّـخذت أشـكالًا متنوِّعة، فمنها حـواشٍ الغرض منها الحكم على الأحاديث، وهي على شـكل كلمة واحدة كـ(صحيـح، حَسَن، موثَّق، ضعيف، مجهول، مُرسَل)، وغيرها، أو رموز، وهذه الرموز هي: (ص= صحيح، ف= ضعيف، ق= موثَّق).

ومنها حواشٍ الغرض منها الحكم على الراوي وبيان عقيدته، كأن يكون واقفيًّا أو زيديًّا، أو غير ذلك.

ومن أنواع الحواشي أيضًا:

قيـود بلاغٍ، وصورها مختلفة كـ(بلـغ)، أو (ثمَّ بلغ سماعًا أيَّـده الله تعالى)، أو (بلغ قراءةً)، أو (بلغ سماعًا).

ونُقـولٌ عن كتب أو أعلام، كصحاح الجوهريّ والقاموس المحيط للفيروزآباديّ، وفـروع الكـافي للكلينيّ، وخلاصة الأقـوال للعلَّامة الحِلِّيّ، ورجال ابـن داوود الحِلِّيّ، والغضائريّ، والنجاشيّ.

وتصحيـحٌ لتحريفـات وتصحيفـات وردت في النسخة اعتمادًا عـلى نسخ أخرى مـن (تهذيـب الأحكـام)، بدليل ورود الرمـز (بـدل) أو (خ ل)، أو من كتـب حديثيَّة أخرى.

(١) ينظر: صورة رقم (٣).

(٢) ينظر: الصورتَين رقم (٤) و(٥).

ولحوقٌ على أصل النسخة، بدلالة وجود الرمز (صح) في آخرها.

وقليل من هذه الحواشي منتهية بإمضاء، منها الحواشي التي بإمضاء الشيخ حسن ابن مطر الأسدي، ومنها الحواشي التي بإمضاء (ص دق) أي محمَّد صادق بن محمَّد أمين الجُهيميّ الحِلِّيّ[1]، والأغلب من هذه الحواشي لا إمضاء فيها، وأكثر الظنِّ أنَّها لمالكي النسخة.

التملُّكات[2]

تطالعنا في صحيفة العنوان جملة من قيود التملّك، بعبارات متنوعة، فيها بعض التفاصيل الضرورية، كما تعطينا فكرة عن الأيدي التي تملّكت هذه النسخة، وهذه التملّكات هي:

١. تملُّك الشيخ فخر المحقِّقين أبو طالب محمَّد بن الحسن بن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ الأسديّ (ت٧٧١هـ)[3]، وصورته: «يثق بالله وحده محمَّد بن المطهَّر الحِلِّيّ».

٢. تملُّك محمَّد بن الحسن بن محمَّد الأسترآباديّ، وصورة تملُّكه هكذا: «يثق بالله ويعتمد عليه محمَّد بن الحسن الأسترآباديّ»، وكتب تملُّكًا آخر هذه صورته:

(١) ينظر: الصورة رقم (٤) و(٥).

(٢) ينظر: صورة رقم (١).

(٣) ولد سنة (٦٨٢هـ)، أثنى عليه أباه العلَّامة الحِلِّيّ، وكلُّ من ترجَم له، له كثير من المصنَّفات والرسائل، منها شرح خطبة القواعد لوالده العلَّامة، وإرشاد المسترشدين في أصول الدين، والفخريَّة في معرفة النيَّة، وغيرها. تنظر ترجمته في: أمل الآمل: ٢/ ٢٦٠-٢٦١، ورياض العلماء: ٥/ ٧٧-٧٩، وروضات الجنَّات: ٦/ ٣٣٠-٣٣٩، وتكملة أمل الآمل: ٤/ ٤٥٩، وأعيان الشيعة: ٩/ ١٥٩، وطبقات أعلام الشيعة: ٥/ ١٨٥-١٨٦.

«انتقل... الجزء من تهذيب الأحكام مع إخوانه الخمسة، وبها تمَّ الكتاب إلى... وأحوجهم إلى عفوه وغفرانه محمَّد بن الحسن الإسترآباديّ غفر الله ذنوبهم وستر [عيوبهم]».

وهو محمَّد بن الحسن بن محمَّد الإسترآباديّ، من شيوخ الإجازات، وهو من تلامذة السيِّد حسن بن محمَّد بن عبد الله بن الأعرج الحسينيّ، كما في الإجازة التي كتبها لفضل الله بن شمس الدين محمَّد بن زين الدين عليّ الصائغ القمِّيّ، على نسخة من كتاب (قواعد الأحكام) للعلَّامة الحِلِّيّ، محفوظة في مكتبة آية الله المرعشيّ[1].

وترجم الشيخ الطهرانيّ في (الطبقات) لمحمَّد بن الحسن الإسترآباديّ، ولم يورد شيئًا عن أحواله، سوى أنَّه وهب لولده عليّ الإسترآباديّ نسخة من كتاب (المستنصريَّات) لابن أبي الحديد، وكتب الإنهاء بخطِّه عام ٨٠٢هـ، وكتب الولد في ذيل خطِّ أبيه قبول الهبة[2].

ولم أعثر على سنة وفاته، ويوجد في مكتبة جامعة برنستون الأمريكيَّة مجموع خطِّي بخطِّ محمَّد بن حسن الإسترآباديّ، كتبه في تواريخ مختلفة، ما بين ٧ شوَّال ٨٢١هـ إلى ١٥ رمضان ٨٢٢هـ، يشتمل المجموع على خمسة من مصنَّفات العلَّامة الحِلِّيّ وولده فخر المحقِّقين، والمجموع محفوظ تحت رمز الحفظ (١٨٨٦)[3]، ولم يتيسَّر لي الاطِّلاع على هذا المجموع، فإذا اتَّحد

(١) ينظر: الشيخ زين الدين علي بن الحسن بن محمَّد الإسترآباديّ النجفيّ (بعد ٨٣٧هـ) إجازاته- إنهاءاته: مجلَّة (الخزانة)، العدد (٢): ١٠٤.

(٢) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ٦/ ١١٦.

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات العربيَّة في جامعة برنستون: ٩/ ٤٥، ١٥١، ٣١٣، ١٠/ ٦، ٢١٩.

الشخصان، يكون تاريخ وفاة محمَّد بن الحسن الإسترآباديّ سنة ٨٢٢هـ، أو بعدها، والله أعلم.

ومحمَّد هذا أخو الشيخ زين الدين عليّ بن الحسن الإسترآباديّ النجفيّ المتوفَّى بعد سنة (٨٣٧هـ)، وقد كتب أستاذنا المحقِّق أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ بحثًا باذخًا مفيدًا عن إجازات الشيخ عليّ وإنهاءاته، أوضح فيه أنَّه من شيوخ الإجازة ومصحِّحي الكتب، مع أخيه محمَّد المذكور آنفًا[١].

٣. تملُّك محمود بن أمير الحاج العاملي[٢]، الراوي عن عزِّ الدين الحسن ابن العشرة الكركيّ (ت٨٦٢هـ)، وزين الدين عليّ بن الحسن الإسترآباديّ المذكور آنفًا، إذ أجازه سنة ٨٠٧هـ، وكتب له الإجازة على نسخة من شرائع الإسلام للمحقِّق الحِلِّيّ، والنسخة محفوظة في مكتبة آية الله المرعشيّ تحت الرقم (١٣٩٤٦)[٣].

والشيخ محمود، وإن لم يكتب تملُّكه على النسخة، إلَّا أنَّنا نستظهر ذلك ممَّا كتبه الشيخ حسن بن حسين بن مطر الأسديّ في تملُّكه، وسيأتي.

٤. تملُّك الشيخ حسن بن حسين بن مطر الأسديّ[٤]، إذ سجَّل على المخطوطة

(١) ينظر: الشيخ زين الدين عليّ بن الحسن بن محمَّد الإسترآباديّ النجفيّ (بعد ٨٣٧هـ) إجازاته- إنهاءاته: مجلَّة (الخزانة)، العدد (٢): ٩٥-١٢٨.

(٢) ينظر: ترجمته في: رياض العلماء: ٥/ ٢٠١، وتكملة أمل الآمل: ١/ ٣٦٥، وأعيان الشيعة: ١٠/ ١٠٢، وطبقات أعلام الشيعة: ٦/ ١٣٥.

(٣) ينظر: الشيخ زين الدين عليّ بن الحسن بن محمَّد الإسترآباديّ النجفي (بعد ٨٣٧هـ) إجازاته- إنهاءاته: مجلَّة (الخزانة)، العدد (٢): ١٠٠.

(٤) ينظر: ترجمته في: تكملة امل الآمل ٢/ ٣٤٢، و رياض العلماء ١/ ١٨٠-١٨١، وأعيان الشيعة: ٥/ ٥٧، والذريعة: ٤/ ٢٢٥، والطبقات: ٦/ ٤٤.

تملُّكَينِ، الأوَّل هـذه صورته: «يثقُ بالله وحده مالكه حسن بن مطر»، والآخر هـذه صورته: «انتقل هـذا الجزء من تهذيـب الأحكام في [الفقـه] مع إخوته الخمسـة وبها تـمَّ... الكتاب جمع ملك الشيخ حسن بن مطـر عفا الله عنه من الشيخ الأعظم محمود بن مير حاج والشيخ عبد بن كامل بن... وكان من أهل الصلاح، وذلك في شهر شعبان المبارك سنة خمسة وثلاث...».

والأسـديّ هذا هو عزّ الدين [أو جمال الديـن] حسن بن عزّ الدين حسين بن مطـر الأسديّ الجزائريّ، من أعيان القـرن التاسع الهجريّ، المجاز من الشيخ شـمس الديـن محمَّد بن شـجاع بن عليّ بـن نعمة القطَّـان الأنصـاريّ الحِلِّيّ (ق٩هـ) المعروف بـ(ابن قطَّـان الحِـلِّيّ)، والمكنَّى بـ(أبي شـجاع)، والإجازة مكتوبـة في آخر نسخة من كتاب (غايـة البادي) للشيخ محمَّد بن عليّ بن محمَّد الغـرويّ الجرجانيّ الحِـلِّيّ (ق٨هـ)، كتبها زين العابديـن بن عليّ بن محمود بن محمَّد بن جبرئيل بن محمَّد بن جبرئيل القشقائيّ[1].

والأسـديّ كذلـك مـن تلامـذة الشيـخ أبي العبَّـاس أحمـد ابـن فهـد الحِلِّيّ (ت٨٤١هـ)، وله منه إجازة بطرقه كلِّها.

ويـروي عنه، أي عـن ابن مطر الأسـديّ، الشيخُ جمال الديـن حسن بن عبد الكريم المشهور بالفتَّال (ق٩هـ)، وعليّ بن هلال الجزائري (ق٩هـ).

٥. تملُّك ابن عذافة الحِـلِّيّ الغرويّ[2]، هذه صورته: «ثُمَّ ساقته النوبة إلى تصرُّف

(١) ينظـر: نصُّ الإجازة في: كتـاب (غاية البادي في شرح المبادي) لركن الديـن الجرجانيّ الحِلِّيّ (ق٨هـ) دراسة عن نسخة مكتبة الإمام الحكيم العامَّة، مجلَّة (تراث الحِلَّة)، ع١١: ٢٠٨.

(٢) مـن علماء القرن الحادي عشر، عاصر الشيخ البهائيّ والميرداماد وغيرهما، له كتاب في الرجال، ينظر: ترجمته في: أعيان الشيعة: ٤/ ٦٢١، والذريعة: ٥/ ١٣١، والطبقات: ٨/ ١٣٥.

العبد الضعيف الفقير إلى ربِّه العليِّ الغنيّ حسام الدين بن عزِّ الدين بن عذافة نزيل الغريّ أمَّله الله به خيرًا».

٦. و٧. تملُّكان لوالد وابنه من بعده:

أمَّا الوالد فهو محمَّد أمين بن محمَّد عليّ الحِلِّيّ الجُهيميّ، وهذه صورة تملُّكه: «من عواري الزمان في نوبة محمَّد أمين بن محمَّد عليّ الحِلِّيّ الجُهيميّ»، وأمَّا الولد فهو محمَّد صادق، وهذه صورة تملُّكه: «وبعد في نوبة العبد المحتاج محمَّد صادق بن محمَّد أمين الحِلِّيّ».

ومحمَّد أمين الحِلِّيّ الجُهيميّ، من أعيان القرن الحادي عشر، ذكره السيِّد أحمد الحسينيّ الإشكوريّ في (تراجم الرجال)، قال: «محمَّد أمين بن محمَّد عليّ الجُهيمي الحِلِّيّ، قرأ وصحَّح نسخة من كتاب (الأربعون حديثًا) للشيخ بهاء الدين العامليّ، وأتمَّها في سنة ١٠٣٧هـ»[١].

والنسخة هذه محفوظة في مكتبة آية الله المرعشيّ تحت الرقم (٤٠٩٣)، ضمن مجموع، وهي بخطِّ عليّ بن محمَّد عليّ الحِلِّيّ، وعليها تعاليق برمز (ص دق)، ويرى السيِّد أحمد الإشكوريّ، وهو مصيب في ذلك، أنَّ هذا الرمز لمحمَّد صادق بن محمَّد أمين الحِلِّيّ الشيرازيّ الذي له رسالة في المجموع نفسه[٢]، ورسالته بعنوان (وجوب السورة بعد الحمد)، ألَّفها في شيراز بتاريخ ١٢ ربيع الثاني سنة ١٠٥٧هـ، يستدلُّ فيها المؤلِّف على وجوب سورة بعد قراءة الفاتحة في الرَّكعتَين الأوَّليَّين من الصلاة، ويردُّ على من كتب رسالة في استحبابها من معاصريه[٣].

(١) تراجم الرجال: ٣/ ٦٥.

(٢) ينظر: التراث العربيّ المخطوط في مكتبات إيران العامَّة: ١/ ٤١٨.

(٣) ينظر: التراث العربيّ المخطوط في مكتبات إيران العامَّة: ١٣/ ٢٨٣، وتراجم الرجال: ٣/ ٢٨١.

ومحمَّـد صادق هذا من العلـماء ومشايخ الإجازات، قـال الشيخ الطهرانيّ في ترجمته: «رأيتُ أربعين البهائيّ، وفي آخره إنهاء صاحب الترجمة بخطِّه صورته: أنهاه أيَّده الله تعالى قبالًا بعض مواضع هذا الكتاب إلى آخره، في مواقع آخرها يـوم الأربعاء آخر رمضـان ١٠٨٦هـ، وأنا أقـلُّ الخليقة محمَّد صـادق الحِلِّيّ. والنسخة عند سلطان المتكلِّمين في طهران»[١].

وقال السيِّد الإشكوريّ في ترجمته: «عالم فاضل فقيه، من أعلام القرن الحادي عشر، وكان يسكن في شـيراز، قرأ نسخة من كتاب (الأربعون حديثًا) للشيخ بهـاء الديـن العامليّ، وكتب عليها حـواشٍ قليلة دالَّة على علـوِّ كعبه في علوم الحديث»[٢].

ويبـدو أنَّ للعلـم سوقًـا رائجةً في هذا البيـت، إذ نجد من أفـراد هذه الأسرة محمَّـد بن محمَّـد عليّ الجهيميّ الحِـلِّيّ الذي تملَّك نسخة مـن (إيضاح الفوائد) لفخـر المحقِّقين، وهي نسخة مصحَّحة وعليهـا حواشٍ، محفوظة في مكتبة آية الله المرعـشيّ في قم المقدَّسة تحت الرقـم (١١٦٢)[٣]، ولعلَّ محمَّد أمين وولده محمَّـد صادق مـن خلف الفقيـه الشيخ مفيـد الدين محمَّـد ابن جُهيـم الحِلِّيّ (ت٦٨٠هـ)[٤]، والله أعلى وأعلم.

ومن المؤكَّد أنَّ كثيرًا من أخبار أعلام هذه الأسرة قد غاب عنَّا، نسأل الله تعالى أن يوفقنا ويوفق العاملين في سبيل إحياء التراث؛ للمِّ شعث ما تفرَّق منه.

(١) طبقات أعلام الشيعة: ٨/ ٢٧٦.

(٢) تراجم الرجال: ٣/ ٢٨١.

(٣) ينظر: فهرستكَان نسخه هاى خطى إيران (فنخا): ٥/ ٤٨٩.

(٤) تُنظـر ترجمته في: أمل الآمل: ٢/ ٢٥٣-٢٥٤، وريـاض العلماء: ٥/ ٥١-٥٢، وطبقات أعلام الشيعة: ٤/ ١٥٥، وأعلام الشيعة: ٣/ ١٣٦٥.

٨. تملُّك المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة، ولا أملك أدنى فكرة عن كيفيَّة انتقال النسخة إلى هذه المكتبة، أمَّا وقت تملُّكها فقد ذكر أدغار بلوشيه (ت١٩٣٨م) هذه النسخة في الكتاب الذي أعدَّه لفهرسة مخطوطات المكتبة[١]، والذي عني بفهرسة المخطوطات التي تملَّكتها المكتبة ما بين العامَين (١٨٨٤-١٩٢٤م)، والفهرس مطبوع في باريس سنة (١٩٢٥م)، وهذا يعني أنَّ المكتبة تملَّكت هذه النسخة قبل عام ١٩٢٤م.

إنهاء الناسخ

قال ناسخ المخطوط في آخر هذه النسخة، وهي الجزء الأوَّل من كتاب (تهذيب الأحكام) كما أسلفنا: «تمَّ الجزء الأوَّل، ويتلوه في الثاني كتاب الصلاة، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلواته على سيدنا محمَّد النبيّ وآله الطاهرين وسلَّم تسليمًا، وقع الفراغ من نسخه منتصف شعبان من سنة تسع وستِّين وخمسمائة، كتبه العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى يحيى بن أحمد بن الحسين الحِلِّيّ وليّ آل محمَّد حامدًا لله مصلِّيًا على رسوله، وداعيًا له ولجميع المؤمنين بالمغفرة والرحمة»[٢].

وإلى جانب إنهاء الناسخ توجد ثلاثة إنهاءات لعلماء قد طالعوا هذا الجزء من المخطوط، وهذه الإنهاءات هي[٣]:

١. إنهاء محمَّد بن عبد المطَّلب الحسينيّ، وصورته: «أنهاه عليَّ سماعًا أيَّده الله في مجالس كان آخرُها ثامن شهر رمضان المبارك سنة... وسبعمائة، أحقر العباد

(1) CATALOGUE DES MANUSCRITS ARABES DES NOUVELLES ACQUISITIONS (1884-1924): 309.

(٢) ينظر: صورة رقم (٣).

(٣) ينظر: صورة رقم (٣).

محمَّد بن عبد المطلب الحسينيّ، تجاوز الله عنهما».

وصاحب هذا الإنهاء هو جمال الدين أبو طالب محمَّد بن عميد الدين عبد المطلب بن أبي الفوارس محمَّد بن عليّ بن الأعرج الحسينيّ العالم الشهيد المعبَّر عنه بخاتمة المجتهدين وعميد السادات، كان والده ابن أخت العلَّامة الحِلِّيّ، وهو من علماء القرن الثامن الهجريّ، ويروى أنَّه مات خنقًا في المشهد الغرويّ[1].

٢. إنهاء الشيخ حسن بن حسين بن مطر الأسديّ، وصورته: «نظرته وتأمَّلته في مجالس آخرُها ضاحي نهار السبت ثالث عشر من ذي القعدة الحرام لأربع وخمسين وثمانمائة، وكتب العبد حسن بن حسين بن مطر...».

٣. إنهاء عبد الله التركستانيّ الحائريّ[2]، وصورته: «نظر فيه من أوَّله إلى آخره أفقر عباد الله تعالى... عبد الله التركستانيّ الحائريّ في الحرم الغريّ سلام الله على مشرِّفه، والحمد لله ربِّ العالمين...».

إنَّ هذه الإنهاءات الثلاثة على هذا الجزء من المخطوط تُضفي قيمة ماديَّة ومعنويَّة كبيرة عليه، فهي دلائل على تداول العلماء لهذه النسخة، وعنايتهم بها، وإقرائها لتلامذتهم، ممَّا يدلُّ على اعتمادهم عليها في التدريس والفُتيا.

(١) ينظر: طبقات أعلام الشيعة: ٥/ ١٩٠-١٩١.

(٢) لم أعثر على ترجمة له.

خاتمة وتوصية

بعـد هذه الرحلة الماتعـة في رحاب هذه النسخة الباذخة من الجزء الأوَّل من كتاب (تهذيب الأحكـام)، المحفوظة في المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّـة تحت الرقم (٦٥٩١)، نرى ضرورة تحـرِّي أصحاب الشأن والاهتمام بالـتراث الإسلاميّ والعربيّ عن مظانِّ وجود المخطوطات في المكتبات العالميَّة، وضرورة الانفتاح على إدارات هذه المكتبات، وتأمين قنوات التواصل معهم بما يخدم مصلحة الطَّرَفين، ويتمثَّل ذلك باقتناء الفهارس المعرَّفة بمقتنيات هذه المكتبات، وتصوير النفائس من مخطوطاتها.

واللهَ نسـألُ أن يوفِّقنـا لخدمة تراثنا التليـد، وخدمة خَدَمَة الـتراث، والله من وراء القصد.

نماذج من المخطوطة

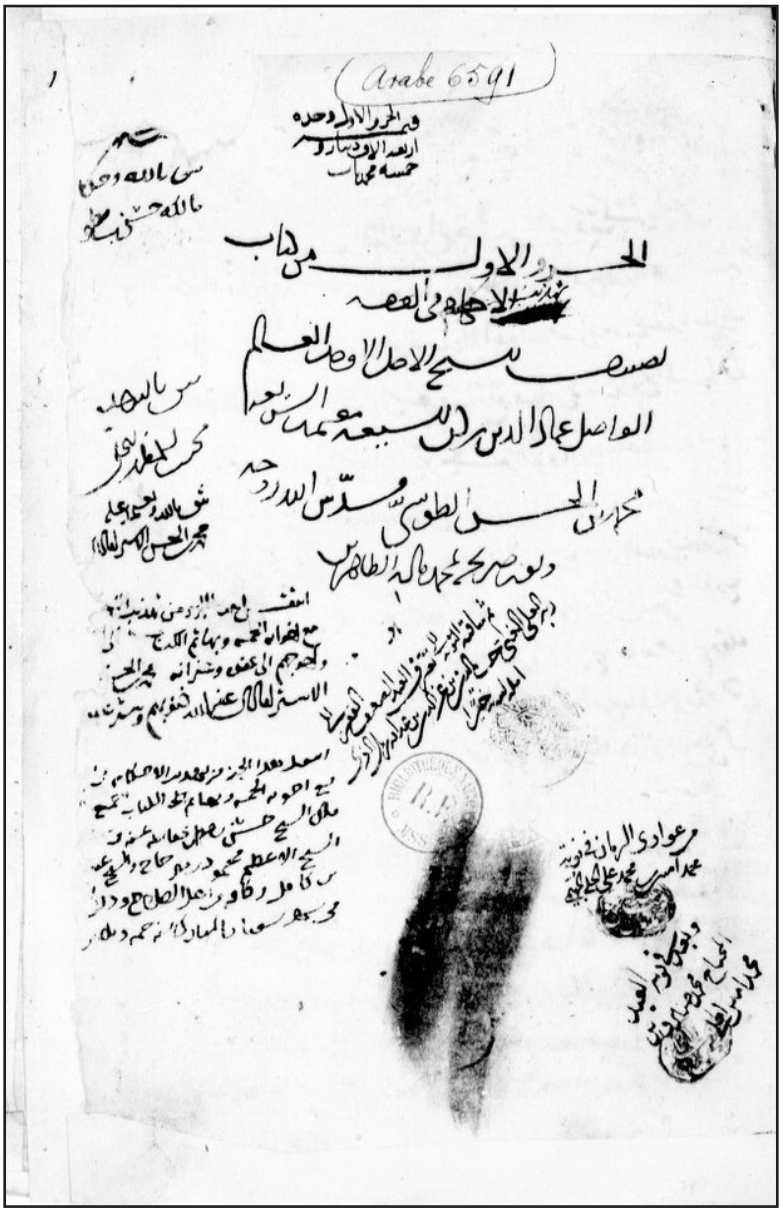

صورة رقم (١): صفحة العنوان، ويظهر فيها تملُّكات النسخة

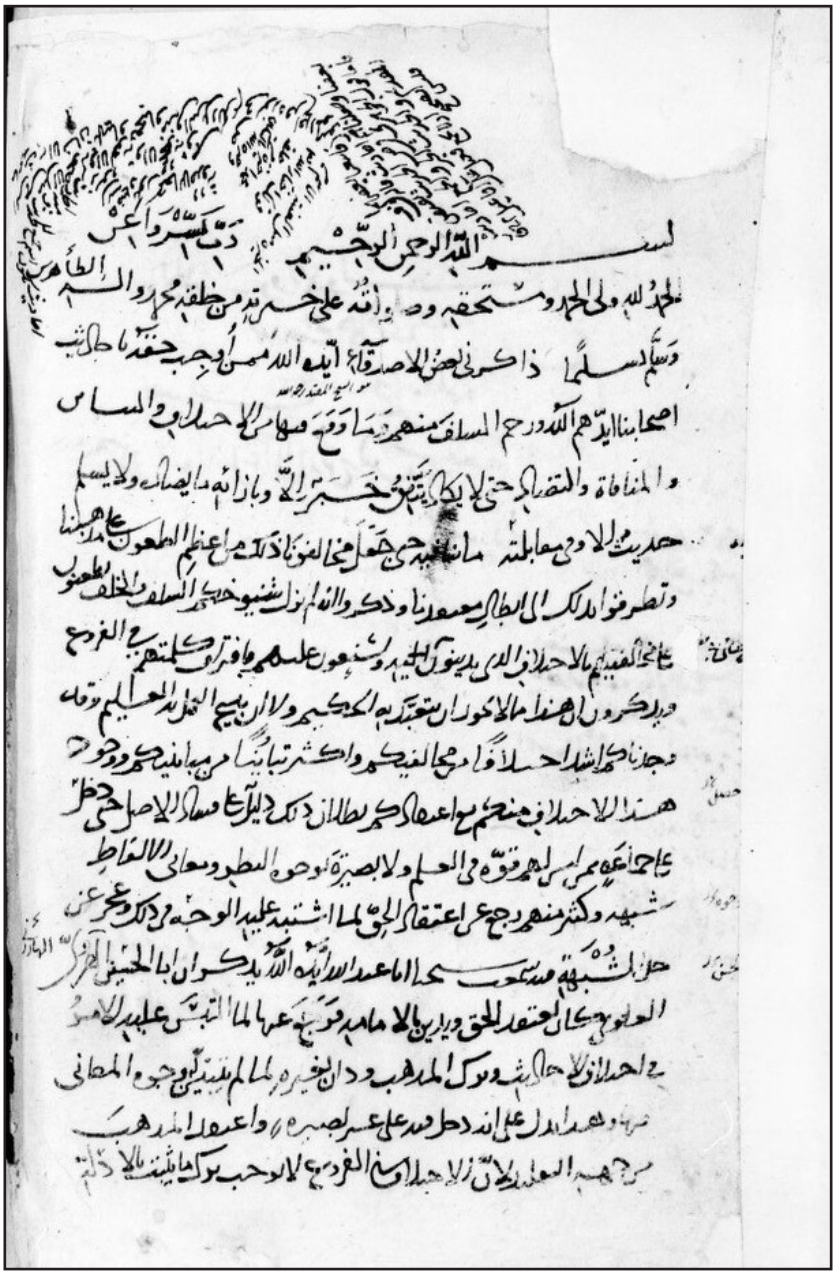

صورة رقم (٢): الصحيفة الأولى من المخطوطة

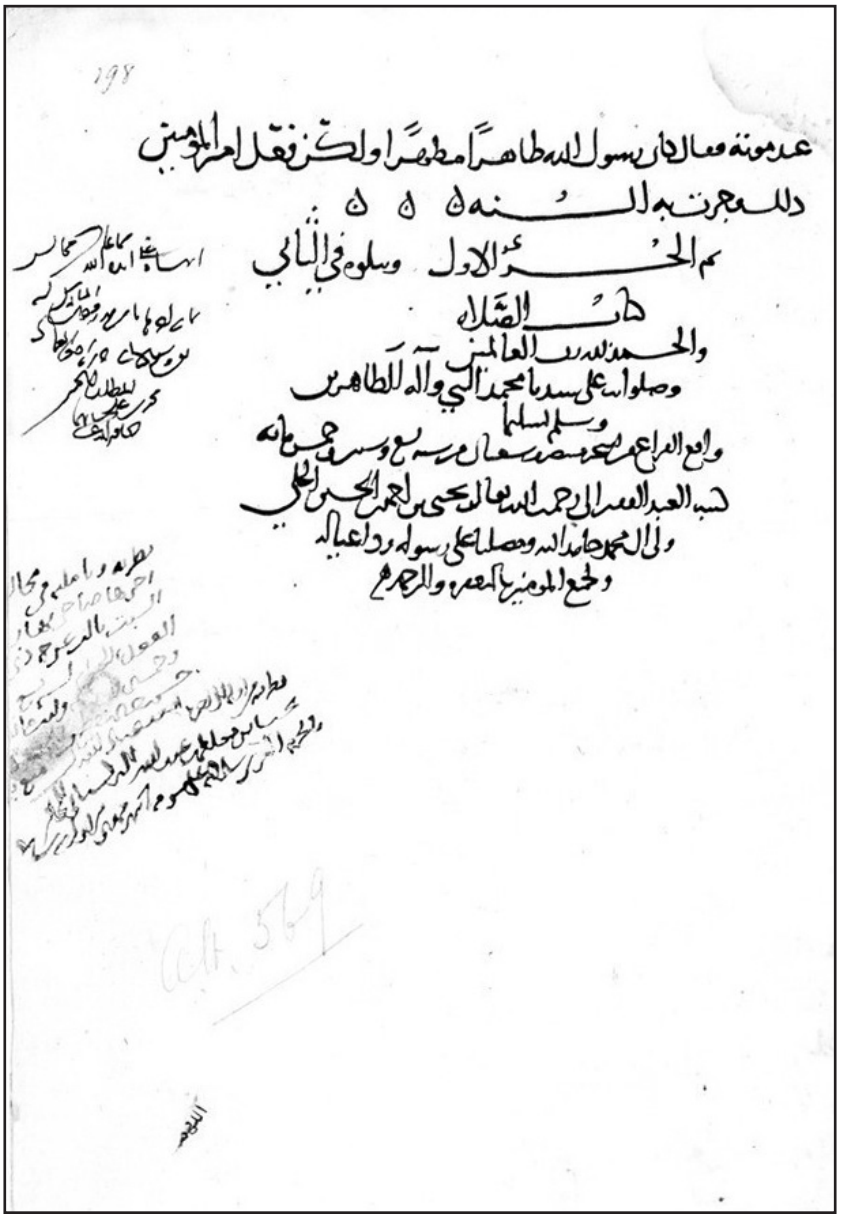

صورة رقم (٣): الصحيفة الأخيرة من المخطوطة

ويظهر فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ

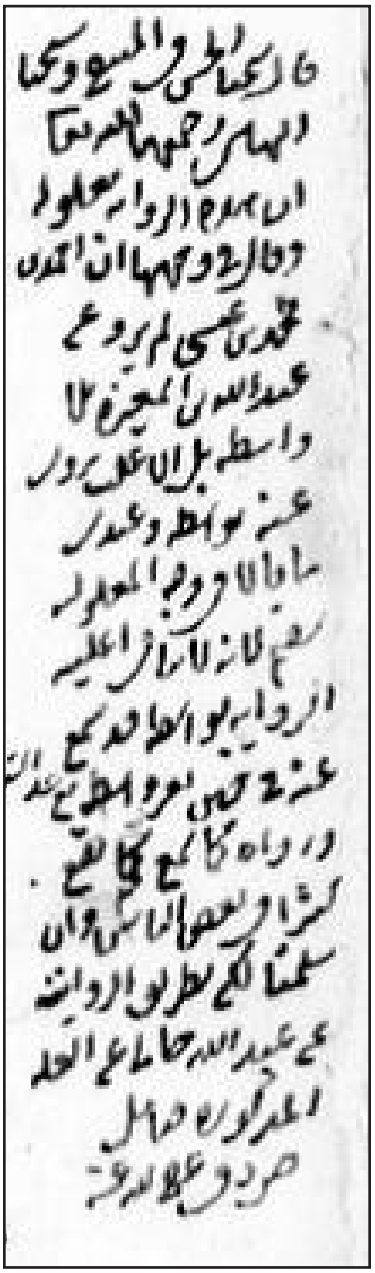

صورة رقم (٤): من تعليقات محمَّد صادق بن محمَّد أمين الحِلِّيّ الجُهيميّ

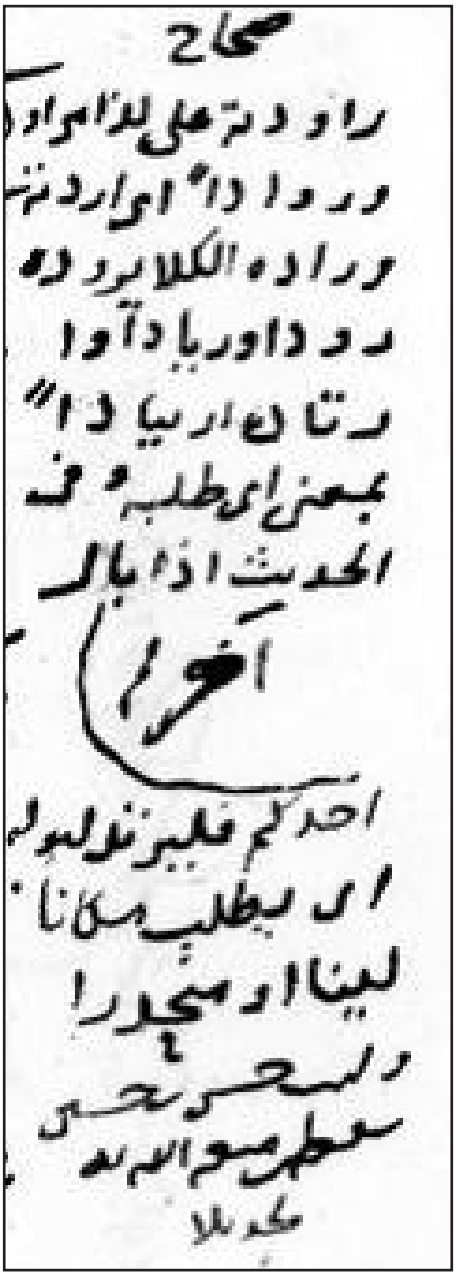

صورة رقم (٥): من تعليقات حسن بن حسين بن مطر الأسدي

المصادر والمراجع

المصادر العربية

١. الأعلام: خير الدين الزركليّ، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

٢. أعيان الشِّيعة: محسن الأمين العامليّ (ت١٣٧١هـ)، حقَّقه وأخرجه واستدرك عليه: حسن الأمين، دار التَّعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٣. أمل الآمل: محمَّد بن الحسن الحرُّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: أحمد الحسينيّ، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٤. التراث العربيّ المخطوط في مكتبات إيران العامَّة: أحمد الحسينيّ الإشكوريّ، ط١، منشورات دليل ما، قم، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠هـ.

٥. تراجم الرجال: أحمد الحسينيّ، ط١، دليل ما، قم، ١٤٢٢هـ.

٦. تكملة أمل الآمل: حسن الصدر (ت١٣٥٤هـ)، تحقيق: حسين عليّ محفوظ وزميليه، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

٧. تهذيب الأحكام: أبو جعفر محمَّد بن الحسن الطوسيّ (٤٦٠هـ)، صحَّحه وعلَّق عليه: عليّ أكبر الغفاريّ، ط١، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٦هـ.ش.

٨. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: آقا بزرك الطهرانيّ (ت١٣٨٩هـ)، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩. رجال السيِّد بحر العلوم المعروف بالفوائد الرجاليَّة: محمَّد مهدي بحر العلوم الطباطبائيّ (ت١٢١٢هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: محمَّد صادق بحر العلوم، وحسين بحر العلوم، ط١، مكتبة الصادق، طهران، ١٣٦٣هـ.

١٠. روضات الجنَّات في أحوال العلماء والسَّادات: محمَّد باقر الموسويّ الخوانساريّ، عُنيت بنشره: مكتبة إسماعيليان، طهران، قم، ١٣٩٢هـ.

١١. رياض العلماء وحياض الفضلاء: الميرزا عبد الله أفندي الأصبهانيّ، من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ، تحقيق: أحمد الحسينيّ، باهتمام: محمود المرعشيّ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، قم، ١٤٠٣هـ.

١٢. زين الدين عليّ بن الحسن بن محمَّد الإسترآباديّ النجفيّ (بعد ٨٣٧هـ) إجازاته- إنهاءاته: أحمد عليّ مجيد الحِلِّيّ، مجلَّة (الخزانة) الصادرة عن مركز إحياء التراث التابع لدار مخطوطات العتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، العراق، العدد الثاني، السنة الأولى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

١٣. طبقات أعلام الشيعة: آقا بزرك الطهرانيّ، ط١، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٤. فهرستكَان نسخه هاى خطى ايران، فنخا: مصطفى درايتي، ط١، سازمان واسناد كتابخانه ملى جمهورى اسلامى ايران، ١٣٩٠ش.

١٥. فهرس المخطوطات العربيَّة في جامعة برنستون: محمَّد عايش، ط١، سقيفة الصفا العلميَّة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

١٦. كتاب (غاية البادي في شرح المبادي) لركن الدين الجرجانيّ الحِلِّيّ (ق٨هـ)، دراسة عن نسخة مكتبة الإمام الحكيم العامَّة: محمَّد لطف زادة التبريزيّ، مجلَّة (تراث الحِلَّة) الصادرة عن مركز تراث الحِلَّة التابع للعتبة العبَّاسيَّة المقدَّسة، العراق، العدد الرابع عشر، السنة الرابعة ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م.

١٧. الكنى والألقاب: عبَّاس القمِّيّ، ط٣، منشورات المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

١٨. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن عليّ بن محمَّد بن أحمد بن حجر العسقلانيّ (ت٨٥٢هـ)، ط٢، دائرة المعارف النظاميَّة، الهند، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

المصادر الأجنبيَّة

19. Catalogue des Manuscrits Arabes des Nouvelles Acquisitions (1884- 1924): E. Blochet, Paris, 1925.